صور من العلاقات الحضارية بين مكة المكرمة والطائف في العصر العثماني (٩٢٣-١٣٣٤هـ)

د. أريج بنت مسحل القثامي

أستاذ مساعد بقسم العلوم الاجتماعية

كلية الآداب– جامعة الطائف

الملخص:

يتناول البحث صور من العلاقات الحضارية بين مكة المكرمة والطائف في العصر العثماني (٩٢٣ –١٣٣٤هـ)، فترة دخول الحجاز تحت الحكم العثماني، وظهور الأتراك على مسرح الأحداث التاريخية في المنطقة، حيث شكلوا معًا جوانب مهمة من الأنشطة المختلفة التي أسفرت عن تطور ونمو العلاقة بين المدينتين، ويستهدف البحث تسليط الضوء على سبل التواصل والتأثير المتبادل بين الطائف ومكة في تلك الفترة من خلال الروابط الاجتماعية والعلاقات الاقتصادية والصلات العلمية، وأخيرًا، النتائج التي توصل لها البحث.

اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي والوصفي التحليلي كأسلوب في الوصول إلى العديد من النتائج التي جاءت في هذا البحث، مع الاعتماد على المصادر الأولية لهذه الأحداث من وثائق ومصادر أصلية، ومراجع ورسائل جامعية، ودوريات علمية، أثرت البحث وأضفت إليه الكثير، والله ولى التوفيق.

Abstract :

The research deals with images of the civilized relations between Makkah and Taif during the Ottoman Era (923 – 1334H), the period of the entry of the Hejaz under the Ottoman rule and the emergence of the Turks on the scene of historical events in the region, where they formed together important aspects of the various activities that resulted in the development and growth of the relationship between the two cities. The study aims to highlight the means of communication and mutual influence between Taif and Makkah through social ties, economic relations, scientific connections, and finally the findings of the study.

In the research, I relied on the historical and descriptive analytical approach as a method to reach many of the findings that came in this study, with reliance on the primary sources of these events such as documents, manuscripts, original sources, references, university theses, and scientific periodicals, which enriched the research and added to it a lot, and Allah is the one who provides success.

أولًا : المقدمة:

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين. أما بعد:

تمتد جذور العلاقات بين مكة المكرمة والطائف إلى قديم الزمن، وهي علاقة وثيقة، ليست وليدة اليوم ولا حتى وليدة الإسلام، إنما تمتد إلى ما قبل ظهور البعثة النبوية بمئات السنين؛ ذلك لقربهما الجغرافي والتاريخي، الذي انسحب على تنوع روافد تلك العلاقات بين المدينتين، فشملت مختلف النواحي بما فيها النواحي الحضارية "الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية"(*).

أن تاريخ العلاقة بين مكة والطائف في العصر العثماني، تحتم بادئًا ذا بدء، الإشارة إلى بداية الحكم العثماني في الحجاز حين نجح السلطان العثماني سليم الأول (٩١٨-٩٢٦/ ١٥١٢-١٥٢٠م) في تقويض أركان الدولة المملوكية في معركة الريدانية عام ٩٢٣هـ- ١٥١٧م(١)، وفي أثناء وجود السلطان بالقاهرة بادر شريف مكة المكرمة آنذاك بركات الثاني بن محمد (٩٠٣-٩٣١هـ/ ١٤٩٧-١٥٢٥م) بإرسال ابنَه الشريف محمد أبو نُمَي مبعوثًا إلى السلطان حاملًا إليه تهاني والده، ومفاتيح

(*) قرن الله تعالى مدينة الطائف بمكة المكرمة في كتابه الكريم، وفي ذلك غاية الفخر والشرف، وتأكيد كذلك لتلك العلاقة بين المدينتين، حيث قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [سورة الزخرف: الآية ٣١]. والقريتان: مكة والطائف. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت: ٣١٠هـ) : **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢١، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت،٢٠٠٠م، ص٥٩٢.

(١) ابن إياس، محمد بن أحمد: **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج٥، ط٢، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة،١٩٦١م، ص ١٥٠.

الحرمين الشريفين؛ رمزًا للتبعية، فأكرم وفادته وأعطاه تفويضًا بحكم والده، وبذلك تم ضم الحجاز سلمًا إلى كنف الدولة العثمانية[١].

ثانياً- التعريف بمدينة الطائف:

وقبل أن نتحدث عن علاقة مكة مع الطائف، يجدر بنا التعريف عن هذه الأخيرة؛ لنتمكن من الوقوف على الخلفيات التاريخية لتلك العلاقة بينهما.

مدينة الطائف ذات تاريخ عريق ممتد عبر العصور، تستمد أهميتها من موقعها الإستراتيجي الذي أكسبها مكانًا فريدًا بين مدن الجزيرة العربية الأخرى، فهي إحدى مدن الحجاز الرئيسة تقع من جهة الجنوب الشرقي لمدينة مكة المكرمة على قمة جبل غزوان، وتعد محطة تجارية تربط جنوب الجزيرة وكل من المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة[٢]، وتمتاز بجوها المعتدل صيفًا والبارد شتاء، وهوائها الطيب وفي ذلك ذكر الاصطخري: (إنها طيبة الهواء شمالية، ربما يجمد ماءها في الشتاء)[٣]، كما ساهم تباين تضاريسها إلى وجود أماكن صيفية مشهورة (كالهدا والشفا)، فأصبحت مصيف لأهل مكة وغيرهم يلجؤون إليها إذا اشتد الحر، وكان لهذا التباين في المناخ والتضاريس دور في انتشار الزراعة وتنوع المحاصيل الزراعية في هذه المدينة، ومن ثمارها العنب، والرمان، والزبيب، والموز، وسائر

---

(١) النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد (ت٩٩٠هـ-١٥٨٣م): **أخبار مكة المشرفة، كتاب الإعلام بإعلام البلد الحرام**، ج٣، مكتبة خياط-بيروت، ١٩٦٤م، ص ٢٨٤، فاروق عثمان أباظة: **عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩-١٩١٨م**، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٩٧٦م، ص ص ٣٧، ٤٩.

(٢) عبدالرحمن بن سعد العرابي: **تاريخ الطائف بين الخرافة والأسطورة**، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، مج٢٦،ع٢، جدة، ٢٠١٨م، ص ٢٦٠.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) : **مسالك الممالك**، الهيئة العام لقصور الثقافة-القاهرة، بدون تاريخ طبع، ص٢٤.

الفواكه والخضروات، وأيضًا تشتهر الطائف بآثارها التي تؤرخ لنمو وتطور الحضارة العربية[١].

ثالثًا: العلاقات الحضارية بين مكة المكرمة والطائف في العصر العثماني:

١- العلاقات الإدارية:

لم يقم السلطان سليم الأول عقب ضم بلاد الحجاز إلى أملاكه بإحداث أي تغيير إداري جديد[٢]، فلم يبدُ أية محاولة لتغيير نظام الشرافة الذي كان عليه منذ عصر المماليك، باستثناء سنجقية عثمانية في جدة يتولاها أحد الحكام أو الأمراء[٣]،كما ظلت الأمور الإدارية كما كانت عليه من قبل، إلا إن السلطان سليم قام بتقسيم الحجاز إلى ست مناطق، وهي: مكة والمدينة والطائف وجدة ورابغ وينبع، وكانت مكة هي مركز تلك الولايات جميعًا[٤]، وهي محل الحكومة الحجازية، التي تنقسم إلى قسمين: الإداري: وكان بيد شريف مكة، والمالي والعسكري: وهو بيد الوالي الذي يكون تركيًّا في الغالب، ومقره جدة[٥].

---

(١) مصطفي أمين جاهين : الطائف في التاريخ ، دارة الملك عبدالعزيز، مج١١،ع٣، الرياض، ١٩٨٥م، ص ١٧٦ .

(٢) الوقف الديني بتركيا، الموسوعة الإسلامية، المجلد (٢٨)، أنقرة،٢٠٠٣م، ص٥٦٢.

(٣) السنجاري، على بن تاج الدين بن تقي الدين: **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، ج١، ط١، تحقيق: جميل عبد الله المصري، جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، ١٩٩٨م، ص ص١٩، ٢١.

(٤) عمر رضا كحالة: **جغرافية شبه جزيرة العرب**، ط٢، راجعه وعلق عليه: أحمد علي، مكتبة النهضة الحديثة – مكة، ١٩٦٤م، ص١٤١، الوقف الديني بتركيا، **الموسوعة الإسلامية**، المجلد (٢٨)، ص٥٦٥، عماد عبد العزيز يوسف: **الحجاز في العهد العثماني (١٨٧٦ – ١٩٨١م)**، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب ، جامعة الموصل – العراق، ٢٠٠٥م، ص١٣.

(٥) عمر رضا كحالة: **جغرافية شبه جزيرة العرب**، ص١٧٠.

وقد ظلت مكة وبلاد الحجاز خاضعة لوالي مصر، حتى انفصلت عنها اعتبارًا من القرن السابع عشر الميلادي، حيث تم فصل سنجق (لواء) جدة عن ولاية مصر، وإسناد إدارة اللواء إلى أمير أمراء (بكلربك)؛ ولأن الدولة العثمانية أرادت أن تكون على إطلاع وثيق بأحوال الحجاز، فقد أسندت إدارة جدة إلى والي بدرجة وزير مع إسناد مشيخة الحرم المكي إليه، إضافة إلى إسناد إيالة الحبش إلى تصرفه، وقد كان هذا الوالي يتردد في إقامته بين مكة والمدينة والطائف وجدة، وقد أطلق عليه لقب "شيخ الحرم المكي، وأمير أمراء الحبش، ووالي جدة"[١].

نفهم من ذلك أن العلاقة بين مكة والطائف خلال العصر العثماني كانت أشبه بعلاقة التابع والمتبوع، حيث كان يترك لأمراء مكة المكرمة من الأشراف الولاية العامة على الحجاز دون شرط أو قيد[٢]، وبالخصوص إمارة الطائف، التي كان لأمير مكة فيها من الكلمة والطاعة على أهلها أكثر مما له على الأماكن الحجازية الأخرى[٣]؛ نظرًا لموقعها الجغرافي القريب من مكة وسهولة إرسال القوات العسكرية لإخضاع المتمردين من أهلها، بهدم حصونهم ، وتخريب مزارعهم ، وقطع نخيلهم، أو بزيادة الضرائب المقررة عليهم[٤].

---

(١) **سالنامة ولاية الحجاز**، مج (٥)، طبع بمعرفة كاتب الغلابة، ١٣٠٩م، ص١٤٠، السنجاري: **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، ج١/ ص٢١، الوقف الديني بتركيا، **الموسوعة الإسلامية**، المجلد (٢٨)، ص٥٦٥، إسماعيل حقي: **اشراف مكة وامرائها في العهد العثماني**، ط١، ترجمة خليل مراد، الدار العربية للموسوعات– لبنان، ٢٠٠٣م، ص٧–٨. أحمد أمين عثمان أوغلي: **تشكُّل إيالة الحجاز (١٨٤١ – ١٨٦٤)**، رسالة لنيل درجة الماجستير، إسطنبول، ٢٠٠٤م.ص١٢.

(٢) إسماعيل جارشلي: **المرجع السابق**، ص ص٨ – ٩.

(٣) الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي(ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م): **الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة**، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ٢٠٠١م، ص٢٢.

(٤) الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي(ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م): **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، ج٣، ط١، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٩٩٨م، ص ص٣٧٠–٣٨٢.

كان لشريف مكة ممثل في مدينة الطائف ممن ينتمون له يباشر شئونها، وكان يسمى بـ "حاكم الطائف"[١]، أو "وكيل الطائف"[٢]، وكان الجهاز الإداري لهذا الحاكم يتكون من: مدير الناحية ونائب المدير وكاتب الناحية وضابط اليوزباشي[٣]، وكان قاضي مكة يعيَّن من قبل الدولة العثمانية[٤]، وله قاضٍ نائب بالطائف يُعيَّن من قِبَله[٥]. وكان مسكن الأمراء والأشراف بالطائف في الموضع المعروف بـ "حارة أسفل"، وتقع خلف باب الحزم[٦].

---

(١) العصامي، عبد الملك بن حسين (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م): **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، ج٤، حقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٨م، ص٤٨٧، عبد الستار الصديقي: **تذييل وتكميل ملحق بكتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** لأبي الطيب المكي الفاسي، ج٢، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٠م، ص٣٦٥، أحمد السباعي: **تاريخ مكة (دراسة في السياسة والعلم والاجتماع والعمران)**، ج٢، الأمانة العامة للاحتفال بمرر مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩م، ص٥١٤.

(٢) دحلان، أحمد زيني (ت ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م): **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، تحقيق: محمد حسن محمد القاهري، مطبوعات أرض الحرمين، (د.ت) ،ص٢٩٦، الغازي، عبد الله: **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام**، ج٤، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: مكتبة الأسدي – مكة المكرمة، ٢٠٠٩م، ص٥.

(٣) عماد عبد العزيز يوسف: **الحجاز في العهد العثماني**، ص٣١.

(٤) عمر رضا كحالة: **جغرافية شبه جزيرة العرب**، ص١٤٢.أحمد السباعي: **تاريخ مكة**، ج٢/ ص٥١٥.

(٥) الفاسي: **الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة**، ص٢٢.

(٦) خير الدين الزركلي: **ما رأيت وما سمعت من دمشق إلى مكة**، المطبعة العربية ومكتبتها بمصر، ١٩٢٣م، ص٧٤.

أولى أشراف مكة وأمراؤها عناية خاصة بالطائف، ففي مقابل كون مكة مركز الولاية الدائم، وعاصمة بلاد الحجاز[١]، فقط جعلوا مدينة الطائف مصيفًا ومتنزهًا لهم[٢]، وخلال القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين كان أشهر مصيف بالطائف يقبل عليه أهل مكة، يسمى بـ "شبرا"، وهو لأشراف ذي عون، أنشأه الشريف عبد الله باشا، وسماه باسم "شبرا مصر"، وبه قصر هو أفخم بناء بالطائف، ثم حدائق المثناه، وهي لذوي غالب، وهي أحسن حدائق الطائف، ومشهورة بخوخها وعنبها[٣]، وكان الأشراف وولاة مكة يمكثون صيفًا بالطائف شهرين أو ثلاثة أشهر من كل عام، يبتعدون عن قيظ مكة، وينظرون في شأنه عن كثب[٤]، وكان الشريف حسين بن علي لا ينقطع في كل سنة عن الإقامة فيه أكثر الصيف، تفد عليه فيه وفود القبائل، فيتفقد أحوالها ويستميل شذاذها، وفي بعض سنواته يكتفي بأن يوفد أحد أبنائه، فينوب عنه فيه[٥].

ومن هذا الاهتمام الزائد من قِبَل العثمانيين، كانت مدينة الطائف معمورة حافلة، ففي أحيانٍ كثيرة كانت إمارة مكة والولاية وقيادة الجيش والأجناد كلها والدوائر الرسمية، تنقل إلى الطائف، وتقيم بها مدة أشهر؛ وكان بسبب ذلك تتوارد طوائف الشعب عليها من مكة وغيرها، فتُعَمَّر أسواقها، ويكثر الأخذ والعطاء فيها، ويذكر أنه كان بالطائف خمسة عشر طبيبًا بين ملكي وعسكري، وكان كل ما يوجد بمكة يوجد

---

(١) الزركلي: **المرجع السابق**، ص٤٥، عمر رضا كحالة: **جغرافية شبه جزيرة العرب**، ص١٧٠.

(٢) سالنامة ولاية الحجاز، المجلد (٥)، ص١٤٢. جارشلي: **أشراف مكة وأمرائها في العهد العثماني**، ص١٦. كانت الطائف مصيفًا لأهل مكة منذ الجاهلية وما بعد الإسلام. الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، ج٤، ط٢، دار صادر – بيروت، ١٩٩٥م، ص١٢.

(٣) محمد فريد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، ج٩، دار الفكر–بيروت، ص٣٣٨، عمر كحالة: **جغرافية شبه جزيرة العرب** ، ص٢٠٠.

(٤) الزركلي: **ما رأيت وما سمعت من دمشق إلى مكة** ، ص٤٥، عمر رضا كحالة: **جغرافية شبه جزيرة العرب** ، ص١٩٨.

(٥) الزركلي: **ما رأيت وما سمعت من دمشق إلى مكة**، ص٤٥.

فيها[١]. وفي عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م، تشكَّلت إمارة الطائف كإمارة للعرب، يبلغ عدد سكانها عشرين ألفًا، وكان يُعَيَّن أميرها من قِبَل أمير مكة، وتحت إمارته جميع القبائل الموجودة في جبل السراة [٢].

ولم يقتصر الاهتمام بالطائف فقط على أشراف مكة، وإنما امتد ذلك الاهتمام إلى صنجق جدة وشيخ الحرم، فقد كان للكثير منهم اعتناء بأحوال الطائف، مثل الوزير ريحان الذي توفي في رمضان ١٢٠٠هـ/ يوليو ١٧٨٦م، فقد كان له خيرات كثيرة بالطائف، وعمَّر بها مسجدًا، عام ١١٨٩هـ/١٧٧٥م، هو مسجد الوزير ريحان، ووقف عليه بستانًا في وادي لية، يقال له: ليلاة، ووقف عليه دارًا بمكة المكرمة في خط سويقة على قارعة الطريق، مركبًا على الظلة التي تجاه دكة الرقيق[٣]. بل تعدى ذلك الاهتمام إلى الولاة العثمانيين من خارج الحجاز، فقد عهد والي الشام محمد باشا العظم إلى الشيخ محمد العنتبلي عام ١١٩٣هـ/١٧٧٩م، بأن يزيد في مسجد الحبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فزاد فيه ٣٢ ذراعًا طولًا ومثلها عرضًا[٤]، وفي رجب ١١٩٣م/ يوليو ١٧٧٩م توجه الشريف سرور بن مساعد بأهله من مكة إلى الطائف، ونزل بقرية السلامة، وفي شعبان أخرج له الهلال القديم الذي بقبة مسجد الحبر، وكان مصفَّرًا مموَّهًا بالذهب، فوضع الشريف سرور بدلًا منه هلالًا أبدع في صنعه، زنته ٦٠٠ أوقية من الفضة، ثم سوَّده وموَّههه بالذهب، وفي عام١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م وضع هلالًا آخر أكبر منه يقارب وزنه قنطارًا وموَّهه بالذهب الخالص[٥].

---

(١) الزركلي: **ما رأيت وما سمعت من دمشق إلى مكة** ، ص١٩٩.
(٢) كحالة: **جغرافية شبه جزيرة العرب** ، ص٢٠٠.
(٣) دحلان: **خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، ص٢٩٢.
(٤) الزركلي: **ما رأيت وما سمعت من دمشق إلى مكة**، ص٥٥.
(٥) نفس المرجع والصفحة..

٢- العلاقات الاجتماعية:

ارتبطت مكة بالطائف ارتباطًا وثيقًا منذ القدم؛ نتيجة التقارب المكاني من جهة، فالطائف أقرب مدن الحجاز إلى مكة، إضافة إلى تبادل المنافع والمصالح من جهة أخرى [١]، ومما عمَّق تلك الصلات بينهما خلال الحقبة العثمانية محافظة العثمانيين على الوضع الاجتماعي الذي كان سائدًا هناك[٢]، فضلًا عن ما كان بينهما من علاقات اجتماعية وثيقة، تنوعت بين المصاهرة والصداقات، ولكونها مصيف مكة وأشرافها[٣] فمن الطبيعي أن تحدث هذه المصاهرات[٤]. التي ساهمت في حفظ التجارة والمصالح بين الحاضرتين، وفي حفظ الدماء[٥].

وقد شهدت فترة الأشراف أثناء الحكم العثماني علاقات اجتماعية وطيدة، ذلك أن أشراف الطائف كان معظمهم نمويين، نسبة إلى أمير مكة المكرمة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي أبي نمي الثاني محمد بن بركات الحسني (توفي:

---

(١) العرابي: **تاريخ الطائف بين الخرافة والأسطورة**، ص ٢٦٠.

(٢) سهيل محمد صابان: **جوانب من الحياة العلمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية**، مجلة الدرعية ، ط١، ع١، الرياض، ١٩٩٨م، ص١٧١.

(٣) جون بوركهارت: **رحلات إلى شبة الجزيرة العربية**، ط١، ترجمة هتاف عبدالله، الانتشار العربي– بيروت، ٢٠٠٥م، ص٧٦.

(٤) تمثلت في المصاهرة بين ثقيف وقريش منذ القدم مما أدى إلى علاقات وصلات اجتماعية وأسرية بين القبيلتين.
أنجلو بك: **الطائف العاصمة الصيفية للمملكة العربية السعودية**، ط١، ترجمة يوسف الثقفي، التنشيط السياحي– الطائف، ٢٠٠٣م، ص ٦.

(٥) سلوى بوشارب: **مكة وعلاقتها بالحواضر الحجازية والدول المجاورة من القرن ال ١٩ ق.م إلى القرن السابع الميلادي**، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة – الجزائر، ٢٠٠٧ – ٢٠٠٨م، ص ص١١١ – ١١٢.

٩٩٢هـ/١٥٨٤م)[١]، ومنهم الأشراف من آل عون، فمنهم: ذوو محمد، وكانوا أشراف مكة وأمراءها فترة من الزمن، وذوو هزاع الذين تولوا إمرة الطائف في عهد عون الرفيق مدة وجيزة، وذوو ناصر وفيهم كانت إمرة الطائف في عهد أبناء عمهم ذوي محمد أشراف مكة، وابتدأت ولايتهم عام ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م بعبد الله بن ناصر بن فواز بن عون، بتعيين من ابن عمه شريف مكة محمد بن عون[٢]، وكان آخرهم شرف بن راجح بن فواز بن ناصر، الذي عينه شريف مكة الحسين بن علي على إمرة الطائف عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م، وكان شرف هذا من رؤوس قادة الشريف حسين عندما أعلن ثورته على الدولة العثمانية، وظل شرف على إمرة الطائف حتى دخول جيوش الملك

---

(١) محمد بن منصور الزيدي: **قبائل الطائف، العرب**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، مج ١٤، ع ١–٢، شعبان عام ١٩٧٩م، ص٥٠. وقد ساق المؤلف نسبه هكذا: أبي نمي الثاني محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن محمد أبي نمي الأول بن أبي سعد الحسن بن علي الأكبر بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله الأكبر بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الرضي بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالمعين بن عون، تولى الشرافة (١٨٢٧–١٨٥١م/١٢٤٣–١٢٦٧هـ) خلفاً لعبد المطلب في شرافته الأولى، وينسب الى جدة الأعلى فيقال محمد بن عون؛ لأن جدة هو مؤسس الأسرة الجديدة لذوي عون، وفي عهدة ١٨٣١م–١٢٤٦هـ أصابت الكوليرا سكان مكة المكرمة لأول مرة، وخرج في عام ١٨٤٦م–١٢٣٦هـ لقتال الأمير فيصل بن تركي في الرياض (الدولة السعودية الثانية) الذي توفي عام ١٨٦٥م/١٢٨٢هـ، وقد تخلى محمد بن عون عن الشرافة طوعاً عام ١٨٥١م، ليتولها عبد الطلب بن غالب الذي أجبر على التخلي عنها في عام ١٨٥٦م/١٢٧٣هـ، وتولاها محمد بن عون من جديد حتى وفاته عام ١٨٥٨م/١٢٧٤هـ . سنوك هورخرونيه: **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، ج ١، نقله إلى العربية: علي عودة الشيوخ، أعاد صياغته وعلق عليه: محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا ، مكتبة الملك فهد الوطنية– الرياض، ١٩٩٩م. ص ص ٢٧٧–٢٨٨.

عبد العزيز بن سعود الحجاز، فارتحل إلى العراق ومنها إلى الأردن، حيث قضى نحبه بعمان عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م[١].

وبمدينة الطائف موضع يسمى "ديرة الجودية"، نسبة إلى الأشراف من قبيلة ذوي جود الله، وتتفرع تلك القبيلة إلى خمسة عشر بطنًا، يسكنون في مكة والطائف، ولهم فيهما نسب ومصاهرة، ولهم مساكنهم تعرف بـ "المساكن الجودية"، تقع على بعد ثلاثين كيلو مترًا من الطائف باتجاه مدينة الرياض[٢].

وكان من عوائد أشراف مكة أن كبراءهم يرسلون أولادهم وهم في نعومة أظفارهم إلى البادية، وخصوصًا إلى قبيلة عدوان التى توجد في شرق الطائف[٣]، ليسترضعوه حتى يشب، فيرجع إليهم وقد تعلم الفروسية وفنون القتال ولهجة الأعراب وعاداتهم في السلم والحرب. وهذه كانت من العادات القديمة بمكة في علاقتها بالطائف[٤].

---

(١) محمد بن منصور: **قبائل الطائف** ، ص ص٥١– ٥٩.

(٢) صالح حسن الفضالة: **الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف**، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠١٣م، ص٧٦.

(٣) ذكر بوركهارت: أن من عادة الشريف القائم بالحكم، وكل عائلات الأشراف الأخرى إرسال أطفالهم ليتربوا وسط البدو وخاصة بين أبناء قبيلة عدوان التي تشتهر ببسالة أعضائها وحس وفادتهم، وكان الأطفال يمكثون معهم حتى يتعلموا ركوب الخيل بكل براعة . **رحلات إلى شبة الجزيرة العربية**، ص ص ١٩٣–١٩٤، وشار عاتق البلادي إلى أن علاقة قبيلة عدوان بالأشراف علاقة تاريخية وثيقة بقولة : [وعدوان لا يزوجون بناتهم لغيرهم إلا لبني هاشم] **الرحلة النجدية**، ط٢، دار مكة، ١٩٨٢م، ص ١٣٢.

(٤) محمد فريد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، ج٩/ ص٣٣٥، حمد عبد الكريم دواح: **مكة المكرمة في الفكر الإسلامي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين**، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٩م، ص ص٣١٥ – ٣١٦. وقد أشار الفاسي الى مرضعة الرسول عليه الصلاة السلام حليمة السعدية التي وفدت إ إلى مكة من ديار بني سعد في جبل غزوان، وأقام عندهم نحوًا من أربع سنين. **العقد الثمين**، ج١/ص٣٦٩–٣٧٠، ج٦/ ص ٢٨٨.

واستقرت العديد من عائلات أشراف مكة في مدينة الطائف، ونقلوا معهم عاداتهم ونمط حياتهم[١]، ولذلك نلاحظ التشابه في الكثير من العادات والتقاليد بين المجتمعين ومنها على سبيل المثال لا الحصر: حفلات الزواج، ختم القرآن الكريم، اللباس، المأكولات، الألعاب الشعبية وغيرها[٢].

٣- العلاقات الاقتصادية:

كانت للمزايا الاقتصادية التي تتمتع بها كلا المدينتين أثرها الكبير في تعميق الصلات الاقتصادية بينهما، فكما اشتهرت مكة بازدهار تجارتها و ثراء تجارها من اشتغالهم بالتجارة الداخلية والخارجية[٣]، فكذلك امتازت الطائف بخصوبة أرضها وغزارة أمطارها وتنوع مناخها وتضاريسها، مما جعلها منطقة زراعية لإقليم الحجاز بأكمله، ويبدو أن هذا الاختلاف ساهم في تحقيق التكامل الاقتصادي بين مجتمع مكة التجاري ومجتمع الطائف الزراعي، حيث أدرك أعيان مكة منذ القدم أهميتها الاقتصادية، فتمكنوا من "التغلغل إلى الطائف ومن بسط سلطانهم عليها، وأقاموا بها أعمال اقتصادية خاصة ومشتركة . وهكذا استغلوا هذا الوضع وحولوه إلى مكان صار بحكم التابع لهم "[٤].

---

(١) بوركهارت: **رحلات إلى شبة الجزيرة العربية**، ص ص ٧٦-٧٧.

(٢) حمد جاسم القحطاني: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز**، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربة، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، س٢٨، ع١٠٤، ٢٠٠٢م، ص ٢٩٦.

(٣) كحالة: **جغرافية شبه جزيرة العرب**، ص١٩٨.

(٤) جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٤، ط٢، جامعة بغداد، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١٥٣.

فكانت الطائف افضل منطقة يستثمر فيها تجار مكة وأشرافها أموالهم بشراء الأراضي والمنازل والبساتين[١].

وكذلك جعلها موقعها الجغرافي محطة تجارية تربط بين جنوب الجزيرة العربية وبخاصة اليمن، وكل من المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة [٢]، وقد استفاد تجار مكة من هذا الرواج الاقتصادي، فشاركوا أهل الطائف تجارتهم[٣].

وكما أشرنا سابقًا أنه في أيام الصيف تنتقل من مكة إلى الطائف السلطة المركزية وقيادة الجيش والدوائر الرسمية، وتقيم بها ستة أشهر؛ وبسبب ذلك يزيد البيع والشراء وتنشط الأسواق[٤].

واستفادت الطائف من تصريف منتجاتها في أسواق مكة ، حيث إن غالبية المنتجات الزراعية[٥] والمصنوعات اليدوية والجلدية[٦] تصدر منها إلى أنحاء الحجاز كلها وخاصة مكة[٧].

---

(١) مثل حديقة الباطنة وبستان الشريعة للشريف عبدالمطلب بن عالب . شارل ديدييه: **رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٥٤م**، ط٢، ترجمة: محمد خير البقاعي، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٧م، ص ص ٢٥٨-٢٥٩. وكذلك بساتين ركبان شبرا وهي للأشراف ذوي عون، عيسى علوي القصير: **الطائف القديم داخل السور الطائف في القرن الرابع عشر الهجري**، ط١، لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي- الطائف، ٢٠٠٤م، ص ٣٩.

(٢) عيسى بن علوى القصير: **أحلى اللطائف في منتجع الطائف**، جامعة الطائف- الطائف، ٢٠٠٩م، ص ٧٢.

(٣) العرابي: **تاريخ الطائف بين الخرافة والأسطورة**، ص ٢٦٠.

(٤) شكيب أرسلان : **الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة-القاهرة، ٢٠١٢م، ص ١١٨، كما ذكر الزركلي أنهم يمكثون فيه شهرين أو ثلاثة أشهر من كل عام. **مارأيت وما سمعت**، ص٤٥.

(٥) مثل: العنب، التين، السفرجل، الرمان، والفواكه المنوعة. بوركهارت: **رحلات إلى شبه الجزيرة العربية**، ص ٧٦.

(٦) القصير: **الطائف القديم داخل السور**، ص ١١٣.

(٧) بوركهارت: **رحلات إلى شبه الجزيرة العربية**، ص ٧٦.

فقد اشتهرت منذ القدم بمزارعها المثمرة وكثرة بساتين الفاكهة وانتشارها على سفوح الجبال والوديان، وفي هذا قال ياقوت الحموي: " الطائف ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه، ويوجد بها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان، وأما زبيبها، فيضرب بحسنة أمثل، وفواكه أهل مكة منها" [١].

وذكر ابن المجاور: بأنها "شامية باردة الماء، صحيحة الهوى، كثيرة الفواكه"[٢]، ووصفت بأنها بستان مكة[٣] حيث كانت أكثر فواكه مكة تجلب من الطائف، وقال ابن ابن الصباح الأندلسي: "كثيرة الماء، كثيرة الشجر، منها تأتي الفواكة إلى مكة الشريفة"[٤].

واستمرت مدينة الطائف في العصر العثماني تمون مكة المكرمة بمنتجاتها الزراعية والفواكه خاصة، وقد أشار أولياجلبي في رحلته الى ذلك بقوله: " تمتلأ أسواق مكة بشتى أنواع الفاكهة، وأكثرها رواجًا البطيخ، وتأتي جميع الفواكة من الشام ومن مدينة عباس [٥]، وتصل خلال يومين، وبطيخ وشمام وخوخ مدينة عباس لذيذ ومشهور"[٦].

---

(١) ياقوت الحموي : **معجم البلدان**، ج٤ / ص ٩.

(٢) يوسف بن يعقوب الدمشقي (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩٠م): **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى " تاريخ المستبصر"** ، تحقيق : أوسكر لوفغري، طبع في ليدن، ١٩٥١م، ص ٤٢.

(٣) الميورقي، أحمد بن على العبدري (ت ٦٧٨هـ/١٢٧٩م): **بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج**، ط١، تحقيق: إبراهيم محمد الزيد، مطبوعات نادي الطائف الأدبي– الطائف، ١٩٨٤م، ص ١.

(٤) عبدالله الأندلسي (ت آخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي): **نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار" رحلة حجازي"**، تحقيق جمعة شيحة، المطبعة المغاربية– تونس، ٢٠١١م، ص ١٣٦.

(٥) اعتاد الرحالة أوليا جلبي – وغيرة من مؤرخي الفترة العثمانية – أن يصفوا مدين الطائف بمدينة عباس أو بندر عباس أو وادي عباس، نسبة إلى الصحابي الجليل عبدالله بن عباس (ت ٦٨هـ/٦٨٧م) المدفون بها. فردنالند فوستنفلد: **أشراف مكة في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي**، ط١، ترجمة محمود كبيبو، شركة بيت لوراق للنشر والتوزيع–لندن، ٢٠١٥م، ص ١٢٧.

(٦) جلبي، أوليا بن درويش محمد التركي(ت ١٠٩٢هـ/١٦٨٢م): **الرحلة الحجازية**، ترجمة: الصفصافي محمد المرسي دار الافاق العربية– القاهرة، ١٩٩٩م، ص ص ٢٧٣–٢٧٤.

وهو ما أشار له بوركهارت في رحلته بقولة: "مع ان عناقيد العنب كانت ناضجة، الا إننا لم نستطع الحصول على بعض منها؛ لأنها بشكل عام ، تشترى وهي بعد على الكرمة، من تجار الطائف الذين يصدروها إلى مكة"[١].

وذهب فيلبي إلى القول: أن عسل نحل الطائف كان له رواجٌ في أسواق مكة[٢]. واشتهر وردها بالعطر، وكان في الغالب يصدر إلى مكة لاستخدامه في تطييب الكعبة المشرفة[٣]. أما أهل البادية فكانوا يبيعون منتجاتهم في سوق الهجلة بالطائف، ومن ثم يقوم التجار بحملها إلى أسواق مكة وجدة وبيعها هناك[٤].

وعلى الرغم من الرواج التجاري بين المدينتين إلا إنها تصاب بنوع من التدهور النسبي في بعض الفترات؛ ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها:

١- حدوث الاضطرابات الأمنية أدى إلى انعدام الاستقرار على طرق القوافل التجارية، فقد شهدت طرق التجارة بين مكة والطائف خلال القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي كثرة عمليات السطو على القوافل التجارية المترددة على أسواق مكة والطائف، وكان ذلك وسيلة من وسائل الضغط التي يستخدمها بعض الأشراف في صراعه مع الحاكم أو الأمير، فكثيرًا ما كان يلجأ الأشراف الذين يخرجون من مكة مغاضبين للشريف الحاكم إلى مثل هذه الأعمال، التي تجعل طرق القوافل منطقة غير آمنة؛ لإجباره على قبول طلباتهم، وإنهاء الخلاف معهم. ومن

---

(١) بوركهارت: **رحلات إلى شبه الجزيرة العربية**، ص ٦٢.

(٢) سانت جون فيلبي: **قلب الجزيرة العربية**، ج١، ط١، ترجمة صلاح على محجوب، مكتبة العبيكان–الرياض،٢٠٠٢م، ص٢٩٩.

(٣) ال عيسى، **الطائف القديم**، ص ١١٨.

(٤) نفسه، ص ١٣٥.

ذلك إعــلان الشريف حمود بن عبد الله[١] الثورة على شريف مكة سعد بن زيد[٢] عام ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م فقام بمهاجمة القوافل التجارية وبعض قوافل الحجاج السائرة ما بين مكة والطائف وجدة والمدينة المنورة والقنفذة على ساحل البحر الأحمر، وكذلك قوافل اليمن؛ وذلك لإضعاف الشريف سعد اقتصاديًّا، وإظهاره بمظهر الضعيف الذي لا يستطيع حماية قوافل الحج والقوافل التجارية التي تمثل عماد الاقتصاد المكي[٣].

---

(١) **حمود بن عبد الله:** تولى إمارة مكة المكرمة بالاشتراك مع الشريف سعد بن زيد وبعد ستة أشهر في رجب ١٠٧٧هـ/ كانون الأول ١٦٦٦م أرسلت خلعة الإمارة إلى الشريف سعد فقط، وقد عارض حمود هذا الأمر وأصبح مسلطاً على مكة ومدن الحجاز الأخرى، واستمر في المعارضة، وتغلب على القوات المصرية التي أرسلت ضده، وقد أدرك سوء عاقبة عمله هذا، ولجأ إلى بدو شرق الحجاز، وفي سنة١٠٨١هـ/١٦٧٠م تصالح مع الشريف سعد، وانسحب إلى الطائف حيث توفى فيها ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م. جارشلي: **أشراف مكة وأمراؤها في العهد العثماني**، ص ١٥٠.

(٢) **سعد بن زيد بن محسن بن حسن الحسني القرشي:** تولى إمارة مكة أربع مرات متقطعة، الأولى سنة ١٠٧٧هـ/١٦٦٧م الى سنة ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م، والثانية من سنة ١١٠٣هـ/١٦٩٢م الى سنة ١١٠٥هـ/١٦٩٤م، والثالثة من سنة ١١٠٦هـ/١٦٩٥م إلى سنة ١١١٤هـ/١٧٠٣م، والرابعة كانت في سنة ١١١٦هـ/١٧٠٥م، توفي بمكة، وهو على رأس الإمارة في ذي الحجة من هذا العام بعد (١٨) يومًا من توليه الإمارة للمرة الرابعة، وكان سعد قد تولى عدة ولايات في الدولة العثمانية قبل أن ينخرط في الصراع في إمارة مكة. الطبري: محمد بن على المكي (ت ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م): **اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني حسن**، ج٢، ط١، تحقيق: محسن محمد سليم، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٣٨.

(٣) الشلي، محمد بن أبي بكر (ت ١٠٩٣هـ/ ١٦٣٢م): **عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر**، تحقيق: إبراهيم أحمد المقحفي، مكتبة تريم الحديثة ومكتبة الإرشاد – صنعاء، ٢٠٠٣م، ص٣٢٣، العصامي: **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، ج٤/ ص٤٩٤، السنجاري: **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، ج٤/ ص٢٦٦، عبد الستار الصديقي: **تذييل وتكميل**، ج٢/ ص٣٦٦،.

٢- كذلك كان لهجمات القبائل البدو(العربان) على القوافل ونهبها للأموال والبضائع، دور في تردي الأوضاع الأمنية الكفيلة بمنع وصول السلع إلى كلًا من مكة والطائف مما أدى إلى ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة. فلم تهدأ الأحوال حتى وقعت حادثة أخرى للقوافل التجارية بين مكة والطائف، يقول العصامي: "وفي شهر رجب المذكور من سنة ثمان وسبعين وألف (رجب ١٠٧٨هـ / ديسمبر ١٦٦٧م) وقع بطريق الطائف بالقرية المعروفة بالسيل (على طريق مكة) أن كانت أحمال متوجهة إلى الطائف مشتملة على أرز وسمن وتمر وبن وقماش وغير ذلك تدخل في عشرين بعيرًا، نزل عليهم بعض الأعراب من عتيبة أهل البادية فلم يبقوا منهم باقية، وحصل بينهم وبين أهل السيل قتال، فقتل من أهل القرية واحد، وحصل في باقيهم جراحات، وأخرب القوم البلاد ...، وكذلك اجتمع طائفة من هذه الفئة الباغية والعصبة الطاغية وداروا في أطراف مكة ونواحيها يتخطفون الناس ويؤذون المسلمين ...، وكذلك أهل مكة كانوا في شدة وغلاء وجهد وبلاء، طحنوا الفول والحمص وجعلوه خبزًا، فلم يجز إلا بعض الأجزاء، وبلغ ثمن الإردب القمح أربعين دينارًا إلى خمسين، بل عُدم بالكلية، ووزن الخبز الذي يباع في السوق بمحلق جاء وزنه أوقية، وكل شيء خرج في ثمنه عن معتادة"[١].

٣- وقد ارتبطت العلاقة طرداً بين تدهور الوضع الاقتصادي وانعدام الأمن الغذائي في البلد الحرام، وبين تدهور الزراعة في البلدان المجاورة بما فيها مدينة الطائف نتيجة لوقوع الكوارث الطبيعية في بعض السنوات، وعلى سبيل المثال: في عام ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م وقع سيل كبير في الطائف وصحبته موجة برد شديدة، أتلفت الزرع وأهلكت الماشية، فعانت المنطقة – وفي مقدمتها مكة – من أزمة غذائية

(١) العصامي: **سمط النجوم العوالي**، ج٤/ ص٥٠١.

كبيرة[١]، وفي عام ١٠٩٨هـ/١٦٨٧م ضربت الزراعة في الطائف آفة طبيعية واسعة، مما أثر على التمويل الغذائي لأهل مكة[٢].

وكان لتجار مكة دور في حل الأزمات الاقتصادية التي تعرض لها الفقراء والمحتاجين من أهالي المدينتين بما قدموا لهم من صدقات وهبات وإعانات، خاصة في أيام القحط والجفاف وارتفاع الأسعار، فعندما أشتد الغلاء بمكة والطائف عام ١٠٧٩هـ/ ١٦٨٥م، اتفق تجار مكة مع أعيانها على طبخ دشيشة[٣]، (شربة قمح) للفقراء، وكانت تعطى لهم صباحًا ومساءً، وكانوا يطبخون يوميًّا أربعة أرادب، ثم تفرق عليهم جهة مقبرة المعلاة، واستمر الحال خمسة أشهر إلى أن وردت المراكب المصرية المحملة بالأغذية إلى الحجاز[٤].

والجدير بالذكر أن السلطة العثمانية كانت حريصة على حفظ الأمن في الحجاز لحماية الحرمين الشريفين، وتوجد وثيقة تصنيف إدارة داخلية رقم (٢٩٦٢٠) تحدثت عن تأديب عدد من قبائل العربان بين مكة المكرمة ومدينة الطائف وإعادتهم إلى الطاعة.

---

(١) المحبي، محمد أمين بن فضل الله الدمشقي(ت ١١١١/١٦٩٩م)، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**،ج١، دار صادر– بيروت، ص ٤٤٧.

(٢) العصامي: **المصدر السابق**، ج٤/ ص ٥٧١ .

(٣) **الدشيشة:** أصل الكلمة يطلق على لطعام المصنوع من القمح المدقوق، ويكون على شكل حسو(شوربة)، ثم أطلقت الكلمة على الحبوب– من القمح والشعير وغيرها– المرسلة إلى الحرمين الشريفين لتوزع أو يصنع منها طعام الفقراء ومحتاجي أهل الحرمين الشريفين. ابن منظور، محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م): **لسان العرب**، ج٦، ط١، دار أحياء التراث العربي– بيروت ، ١٩٨٨م، ص ٣٠٢.

(٤) العصامي، **المصدر السابق**، ج٤/ ص ٥٠٨ .

وكان السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله (١٨٧٦– ١٩٠٩م)، قد أولى الحجاز مكانة خاصة، حيث أسست قوات حراسة وضبطية، بجانب استخدامه قوات غير نظامية لحفظ الأمن، كذلك جعل قوة مكونة من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ جندي بقيادة أمير مكة، مهمتها تأمين الطريق، وخاصة طرق الحج والقوافل التجارية بين مكة والمدينة والطائف من بلاد الحجاز[١].

٤– العلاقات العلمية:

نشاط الحركة العلمية في مكة والطائف في العصر العثماني:

يجدر بنا ونحن في صدد الحديث عن العلاقة بين مكة المكرمة والطائف، أن نختم بتلك اللمحة العلمية بين المدينتين، والتي شهدت حركة علمية وتبادلًا ثقافيًا كبيرًا منذ السيطرة العثمانية على بلاد الحجاز، فقد اهتم العثمانيون بتعمير المدارس والأربطة، والصرف عليها وعلى علماء الحرمين الشريفين، وكان للرحلات العلمية من الحجاز وإليه أثرها الفعال في إنعاش الحركة العلمية، فاحتلت مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة مركز الصدارة؛ لإقامة المشتغلين بالعلم فيها[٢].

وقد كانت أشهر الصيف فرصة للعلماء والأدباء المكيين لملاقاة نظرائهم من علماء وأدباء الطائف، يتداولون في مجالسهم الموضوعات العلمية والأدبية والاجتماعية، كما يتبادلون فيما بينهم المعلومات والآراء العلمية، مع استمرار دورهم وعطائهم العلمي بإقامة دروسهم التي كانت لهم بمكة المكرمة في مساجد الطائف المشهورة، كمسجد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وغيره من المساجد وفي بيوتهم ومساكنهم كذلك. لذا، فإننا لا نكون مبالغين إذا قلنا: إنه لا يخلو قرن من الزمان إلا ونرى فيه عالمًا مكيًّا قد درَّس في الطائف أو العكس. فمن خلال تراجم

---

(١) الوقف الديني بتركيا، **الموسوعة الإسلامية**، مجلد (١٧)، إسطنبول، ١٩٩٨م، ص٤٣٧.

(٢) السنجاري: **منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**، ج١/ ص٢٢.

العلماء المكيين وطلابهم، نقرأ: "وذهب بعائلته إلى الطائف"، "ورحل إلى الطائف في أيام الصيف"، "وقرأت عليه بالطائف"[١]، إلى غيرها من العبارات الدالة على التبادل العلمي بين المدينتين.

وفي المقابل، كان علماء الطائف يتجهون إلى مكة المكرمة للاستزادة من التحصيل العلمي ولنشر العلم والمعرفة في المجتمع المكي، وقد ذكر الشيخ عمر عبد الجبار في مقدمة كتابه "سير وتراجم"، أن من بين الأسباب التي دفعته لتأليف الكتاب، ما قاله في التمهيد عن بعض من سبق من علماء الطائف بمكة، الذين "اشتركوا مع إخوانهم علماء المسجد الحرام في نشر التعليم والثقافة...، وحيث إني حضرت حلقات الكثير من هؤلاء العلماء الأعلام، وسمعت دروسهم وطريقة أسلوبهم وإلقائهم، فقد رأيت من واجبي القيام بترجمة حياة كل منهم..." [٢].

ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر:

الشيخ أكمل الدين بن عبد الكريم القطبي (توفي ١٠٠٩هـ / ١٦٠١م)، مفتي مكة وعالمها، كان من أساطين علماء الحجاز، وله رحلة إلى الطائف، وتوفي بها[٣]، الشيخ أحمد باعنتر اليمني، الذي استوطن الطائف عام ١٠٤٥هـ / ١٦٢٥م، وأخذ عن علمائها، ونزل مكة وحدث عن مشائخها، وله مسجد بالطائف سمي على اسمه (مسجد باعنتر)، وممن تتلمذ على يديه فيه الشيخ المكي حسن بن علي العجيمي

---

(١) سليمان بن صالح آل كمال: **بعض علماء مكة المكرمة وعلاقتهم بالحركة العلمية في الطائف خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين**، مجلة الدارة السعودية، مج (٣١)، ع (٤)، ٢٠٠٥م، ص ص١٠٣ – ١٠٤.

(٢) عمر عبد الجبار: **سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر الهجري**، ط٣، تهامة للنشر –جدة، ١٩٨٢م، ص٢١.

(٣) محمد أمين المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**،ج١/ ص٤٢٢.

صاحب "إهداء اللطائف من أخبار الطائف"[١]. وقد تعدى الأمر إلى أن بعض العلماء المكيين كان يضفي على نفسه لقب الطائفي، كالشيخ محمد عبد المنعم المكي الشافعي (توفي ١٠٥٢هـ / ١٦٤٢م)، كان يقال له "الطائفي"؛ لكثرة تردده على الطائف، وقد مدحه أحد أصحابه من العلماء، وهو الشيخ غرس الدين الخليلى المدنى بقصيدة أولها:

والله إنى مغرم بالطائفي *** لم لا وذلك كعبة للطائف[٢].

ومنهم: الشيخ أحمد بن عبد الله بن حسن السيووني الحضرمي الشافعي (توفي ١٠٩١هـ / ١٦٨٠)، أصله من اليمن، ورحل إلى مكة وأخذ عن علماها، ثم ارتحل إلى الطائف وأقام بها، وتوفي فيها، وكان أهل الطائف لا يصدرون إلا عن أمره، ولهم فيه محبة زائدة[٣].

وغيرهم من الأدباء والعلماء، مما ينتج عنه تلاقح الأفكار، وإثراء المعلومات فيما بينهم في مختلف العلوم والمعارف، الذي ينعكس بدوره على طلاب العلم والمعرفة، وعلى تزايد الروابط بين مكة والطائف.

---

(١) المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ج١/ ص٣٨٨، سليمان بن صالح آل كمال: **بعض علماء مكة المكرمة وعلاقتهم بالحركة العلمية في الطائف**، ص١٠٥.

(٢) المحبي: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ج٤/ ص٣٣.

(٣) نفسه، ج١/ ص٢٣٠.

الخاتمة:

من خلال ما أوردناه في هذ البحث عن العلاقات بين مكة المكرمة والطائف في العصر العثمان (٩٢٣-١٣٣٤هـ) نخلص إلى النتائج التالية:

١. أن الطائف بحكم موقعها القريب كانت تخضع إداريًّا للشريف أمير مكة، وكان بها نائبًا عن الشريف يسمى بالحاكم أو الوكيل.

٢. كما كانت مكة مركز الولاية وعاصمة الحجاز، بحكم مكانتها المقدسة، كانت الطائف العاصمة الثانية للأشراف بحكم قربها، وكونها مصيفًا لهم، ولهم بها مصالح متنوعة.

٣. أولى العثمانيون اهتمامًا كبيرًا بالطائف، فلم يقتصر الأمر على أشراف مكة، بل تعداه إلى صنجق جدة وشيخ الحرم، وكان لهم فيها أوقاف وخيرات.

٤. ارتبطت مدينة الطائف بمكة المكرمة بصلات وروابط قوية، خاصة الاقتصادية منها، فقد كان لأشراف مصالح تجارية وعقارية وبساتين بالطائف، كما كانت الطائف تسد حاجات أهل مكة من المواد الزراعية على وجه الخصوص.

٥. كانت هناك علاقات اجتماعية قوية بين مكة والطائف، وقد حرص الأشراف على توثيقها بالمصاهرات والتزاوج، فضلًا عن كون الطائف مصيفًا لأهل مكة، حيث كان يقيم الأشراف بها أشهرًا، مما عمق الصلات الاجتماعية بين المدينتين.

٦. شهدت تلك الحقبة تبادلًا علميًّا كبيرًا بين المدنتين، حيث كان يتلاقى العلماء والأدباء في مواسم الحج بمكة ووقت الصيف بالطائف.

٧. أدى اضطراب الأوضاع الأمنية بين مكة والطائف إلى انعدام الاستقرار على طرق القوافل التجارية، مما أضعف الحالة الاقتصادية في المدينتين، والتي ترتب عليها انتشار القحط وغلاء الأسعار.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً- المصادر:

١. **القرآن الكريم.**

٢. **ابن الصباح، عبدالله الاندلسي** (ت آخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي):
نسبة الأخبار وتذكرة الأخيار" رحلة حجازي"، تحقيق جمعة شيحة، المطبعة المغاربية– تونس، ٢٠١١م.

٣. **ابن المجاور، يوسف بن يعقوب الدمشقي** (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩٠م):
صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى " تاريخ المستبصر" ، تحقيق : أوسكر لوفغري، طبع في ليدن، ١٩٥١م.

٤. **ابن إياس، محمد بن أحمد:**
بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٥، ط٢، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٦١م.

٥. **ابن منظور، محمد بن مكرم المصري** (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م):
لسان العرب، ج٦، ط١، دار احياء التراث العربي– بيروت، ١٩٨٨م.

٦. **الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد** (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) :
مسالك الممالك، الهيئة العام لقصور الثقافة، القاهرة.

٧. **جلبي، أوليا بن درويش محمد التركي** (ت ١٠٩٢هـ/١٦٨٢م):
الرحلة الحجازية ، ترجمة : الصفصافي محمد المرسي ، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م.

٨. **الحموي، ياقوت:**
معجم البلدان، ج٤، ط٢، دار صادر – بيروت، ١٩٩٥م.

٩. **دحلان، أحمد زيني** (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م):
خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، تحقيق: محمد حسن محمد القاهري، مطبوعات أرض الحرمين، (د.ت)

١٠. **سالنامة ولاية الحجاز**، مج (٥) ،طبع بمعرفة كاتب الغلابة، ١٣٠٩هـ.

١١. **السنجاري، على بن تاج الدين بن تقي الدين** (ت ١١٢٥هـ) :

منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، ج١، ط١، تحقيق: جميل عبد الله المصري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، ١٩٩٨م.

١٢. **الشلي، محمد بن أبي بكر** (ت ١٠٩٣هـ/ ١٦٣٢م):

عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق: إبراهيم أحمد المقحفي، مكتبة تريم الحديثة ومكتبة الإرشاد – صنعاء، ٢٠٠٣م

١٣. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد** (ت: ٣١٠هـ):

جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢١، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة–بيروت، ٢٠٠٠م.

١٤. **الطبري، محمد بن على المكي** (ت ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م):

اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني حسن، ج٢، ط١، تحقيق: محسن محمد سليم، جامعة الأزهر– القاهرة ، ١٩٩٣م.

١٥. **العصامي، عبد الملك:**

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٤، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٨م.

١٦. **الغازي، عبد الله:**

إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام، ج٤، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي – مكة المكرمة، ٢٠٠٩م.

١٧. **الفاسي: تقي الدين محمد بن احمد الحسني المكي**(ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م):

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٣، ط١، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٩٩٨م.

الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ٢٠٠١م.

١٨. **المحبي، محمد أمين بن فضل الله الدمشقي**(ت ١١١١/١٦٩٩م):

خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر،ج١، دار صادر– بيروت.

١٩. **الميورقي، أحمد بن عبى العبدري** (ت ٦٧٨هـ/١٢٧٩م):

بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج،ط١، تحقيق: إبراهيم محمد الزيد، مطبوعات نادي الطائف الأدبي– الطائف، ١٩٨٤م.

٢٠. **النهروالي، قطب الدين محمد بن احمد** (ت٩٩٠هـ-١٥٨٣م):
اخبار مكة المشرفة، كتاب الإعلام بأعلام البلد الحرام، ج٣، مكتبة خياط-بيروت، ١٩٦٤م.
٢١. الوقف الديني بتركيا، **الموسوعة الإسلامية**، المجلد (٢٨)، أنقرة، ٢٠٠٣م.
٢٢. الوقف الديني بتركيا، **الموسوعة الإسلامية**، مجلد (١٧)، إسطنبول، ١٩٩٨م.

ثانياً- المراجع العربية:

٢٣. أحمد السباعي: **تاريخ مكة (دراسة في السياسة والعلم والاجتماع والعمران)**، ج٢، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩م.
٢٤. جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج٤، ط٢، جامعة بغداد، ١٩٩٣م.
٢٥. حمد عبد الكريم دواح: **مكة المكرمة في الفكر الإسلامي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين**، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٩م.
٢٦. خير الدين الزركلي: **ما رأيت وما سمعت من دمشق إلى مكة**، المطبعة العربية ومكتبتها بمصر، ١٩٢٣م.
٢٧. شكيب أرسلان: **الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى اقدس مطاف**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة-القاهرة، ٢٠١٢م.
٢٨. صالح حسن الفضالة : **الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف**، دار الكتب العلمية -بيروت، ٢٠١٣م.
٢٩. عاتق غيث البلادي: **الرحلة النجدية**، ط٢، دار مكة، ١٩٨٢م.
٣٠. عبد الستار الصديقي: **تذييل وتكميل ملحق بكتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** لأبي الطيب المكي الفاسي، ج٢، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٠م.
٣١. عمر رضا كحالة: **جغرافية شبه جزيرة العرب**، راجعه وعلق عليه: أحمد علي، ط٢، مكتبة النهضة الحديثة – مكة، ١٩٦٤م.
٣٢. عمر عبد الجبار: **سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر الهجري**، ط٣، تهامة للنشر – جدة، ١٩٨٢م.
٣٣. عيسى علوي القصير
– **الطائف القديم داخل السور الطائف في القرن الرابع عشر الهجري**، ط١، لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي- الطائف، ٢٠٠٤م.

- **أحلى اللطائف في منتجع الطائف**، جامعة الطائف– الطائف، ٢٠٠٩م.

٣٤. فاروق عثمان أباظة: **عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر١٨٣٩–١٩١٨م**، الهيئة المصرية العامة للكتاب– القاهرة، ١٩٧٦م.

٣٥. محمد فريد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، ج٩، دار الفكر–بيروت (د.ت).

ثالثاً- المراجع المعربة:

٣٦. إسماعيل حقي جارشلي: **أشراف مكة وامرائها في العهد العثماني**، ط١، ترجمة خليل مراد، الدار العربية للموسوعات – لبنان، ٢٠٠٣م.

٣٧. أنجلو بك: **الطائف العاصمة الصيفية للمملكة العربية السعودية**،ط١، ترجمة يوسف الثقفي، التنشيط السياحي، الطائف، ٢٠٠٣م.

٣٨. جون بوركهارت: **رحلات إلى شبة الجزيرة العربية**، ط١، ترجمة هتاف عبدالله، الانتشار العربي– بيروت،٢٠٠٥م.

٣٩. سانت جون فيلبي: **قلب الجزيرة العربية**، ج١، ط١، ترجمة صلاح على محجوب، مكتبة العبيكان–الرياض،٢٠٠٢م.

٤٠. سنوك هورخرونيه: **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، ج ١–٢، نقله إلى العربية: علي عودة الشيوخ، أعاد صياغته وعلق عليه: محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، مكتبة الملك فهد الوطنية– الرياض، ١٩٩٩مـ.

٤١. شارل ديدييه: **رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، ١٨٥٤م**، ط٢، ترجمة: محمد خير البقاعي ، الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٧م.

٤٢. فردنالند فوستنفلد: **أشراف مكة في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي**، ط١، ترجمة محمود كبيبو، شركة بيت لوراق للنشر والتوزيع– لندن، ٢٠١٥م.

رابعاً- الرسائل العلمية:

٤٣. أحمد أمين عثمان أوغلي: **تشكُّل إيالة الحجاز (١٨٤١ – ١٨٦٤)**، رسالة لنيل درجة الماجستير، إسطنبول، ٢٠٠٤م.

٤٤. سلوى بوشارب: **مكة وعلاقتها بالحواضر الحجازية والدول المجاورة من القرن ال ١٩ ق.م إلى القرن السابع الميلادي**، رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة منتوري قسنطينة – الجزائر، ٢٠٠٧ – ٢٠٠٨م.

٤٥. عماد عبد العزيز يوسف: **الحجاز في العهد العثماني (١٨٧٦ – ١٩٨١م)**، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب، جامعة الموصل – العراق، ٢٠٠٥م.

خامساً: الأبحاث العلمية والمجلات والدوريات:

٤٦. أماني جعفر الغازي: **دعم الدولة العثمانية للمؤسسات التعليمية في بلاد الحرمين خلال عهد السلطان عبدالحميد الثاني (دراسة وثائقية)**، مجلة جامعة أم القرى،ع (٦٤)، ٢٠١٤م.

٤٧. حمد جاسم القحطاني: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز**، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربة، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، س(٢٨)، ع(١٠٤) ، ٢٠٠٢م.

٤٨. سليمان بن صالح آل كمال: **بعض علماء مكة المكرمة وعلاقتهم بالحركة العلمية في الطائف خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين**، مجلة الدارة السعودية، مج (٣١)، ع (٤)، ٢٠٠٥م.

٤٩. سهيل محمد صابان: **جوانب من الحياة العلمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية**، مجلة الدرعية، ط (١)، ع (١)، الرياض،١٩٩٨م.

٥٠. عبد الرحمن بن سعد العرابي:

دور الطائف في الأحداث السياسية في إقليم الحجاز خلال فترة الحكم العثماني الثاني١٢٦٥-١٣٣٤هـ/١٨٤٠-١٩١٦م، المجلة التاريخية المصرية، مج (٥١)، القاهرة، ٢٠١٧، ص٢٤٢.

تاريخ الطائف بين الخرافة والأسطورة، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، مج (٢٦)، ع (٢)، جدة، ٢٠١٨.

٥١. محمد بن منصور الزيدي: **قبائل الطائف**، العرب، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، مج ١٤، ع ١-٢، ١٩٧٩م.

٥٢. مصطفي أمين جاهين: **الطائف في التاريخ**، دارة الملك عبدالعزيز، مج(١١)، ع(٣)، الرياض، ١٩٨٥م.

الملاحق

ملحق (١)

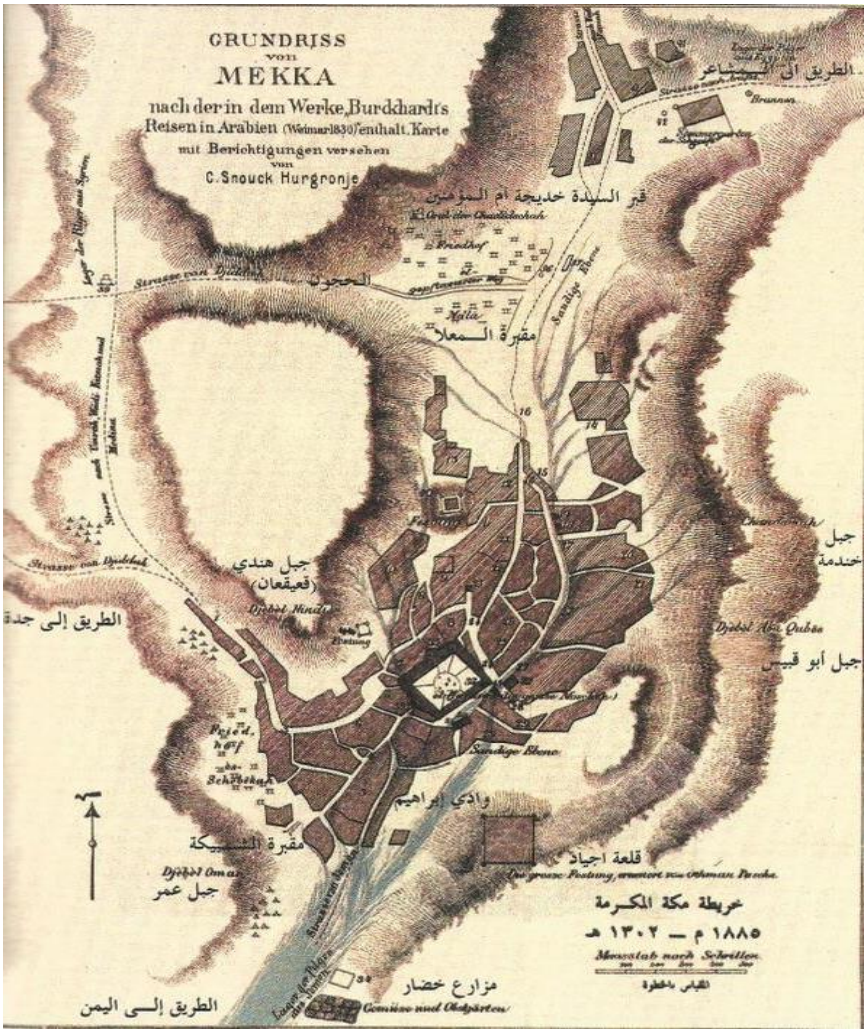

خارطة مكة المكرمة في العهد العثماني عام ١٨٨٥م

من كتاب **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، سنوك هورخورنية، ج٢، ص٦٥٦

ملحق (٢)

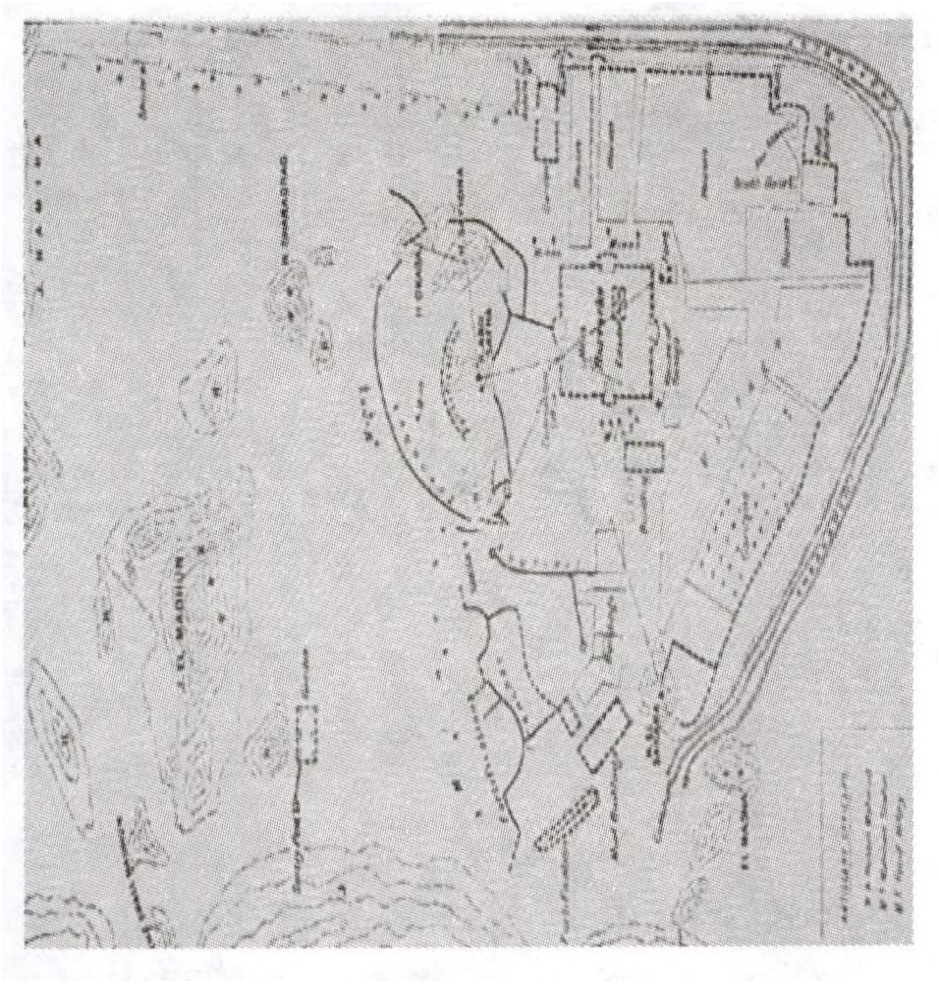

خارطة مدينة الطائف في العهد العثماني عام ١٩١٦م

من كتاب **دور الطائف في الأحداث السياسية في إقليم الحجاز، د.** عبدالرحمن العرابي، ص٢٤٢